

ابوحسن علي حسني الندوبي

نحو تكوين إسلامي جديد

ملتقى النشر والتوزيع
المجمع الإسلامي العالمي
مندوة العلامة . مص. بـ ١٩ لكتاق المندى

من مطبوعات ، المجمع الاسلامى العلمى ، - لكتئاف (المهند)

رقم - ١٢٣

الطبعـة الثانية

١٩٩٠ - ١٤١٠ م

اهم بالطبع
محمد غيث الدين الندوى



المطبعة الندوية

ندوة العلماه - لكتئاف (المهند)

نحو تكوين إسلامي جديد

حيرة العالم الإسلامي :

إن العالم الإسلامي حائز اليوم بين دين لا يسهل عليه العمل به و القيام بطالبه ، لعادات نشأ عليها و حكومات أفسدته و تعلم أذابه وشهوات لا تتفق مع عقيدته ورسالته ، و بين جاهلية لا يشرح لها صدره لإيمان لا يزال له بقية فيه ، و قومية بعنت مع الاسلام وحضارة تحمرت مع الدين .

إن العالم الإسلامي حائز بين شعوب مسلمة بسيطة في عقليتها و دينها ، و حكومات لم تشرح صدور رجالها لهذا الدين ولم تطاو عليهم نفوسيهم على العمل به ، ولكنهم يصررون على أن يحكموا هذه الشعوب التي تؤمن بهذا الدين ، ولا

يرون حياتهم و شرفهم إلا فيبقاء في الحكومة ، ولا يرون لهم محلاً في الحياة إلا الزعامة و الحكومة ، ولا موضعًا في العالم إلا المجتمع الاسلامي الذي ولدوا ونشأوا فيه ، فالشعوب في تعب منهم و هم منها في بلاء و عناء .

إن العالم الاسلامي حائر بين فطرته التي تنزعه إلى الدين و تاريخه الذي يدفعه إلى الامان والجهاد ، والكتاب الذي يقبل به على الآخرة ويعث في نفسه الثورة على المجتمع الفاسد و الحياة الزائفه ، و بين التراثية العصرية التي تزين له المادية و تطبعه على الجبن و الضعف ، والزعامة التي تفرض عليه الاتكال على الغير و الاعتماد على العدو و الفرار من الزحف .

إن العالم الاسلامي حائر بين شباب ثائر ، ودم فائز ، و ذهن متوقف ، وأزهار تريد أن تتفتح ، و بين قيادة شائخة قد أفلست في العقلية و الحياة و حرمت الابتكار و الابداع و الشجاعة و المغامرة .

إن العالم الإسلامي حائز بين مواد خام من أقوى المواد وأفضلها في الإيمان و القوة و الشجاعة ، و بين موجهين و صناع لا يعرفون قيمة هذه المواد و لا يعرفون أين يضعونها و لا لماذا يصنعون منها .

هذا هو العالم الإسلامي الذي يواجه العالم اليوم فلا يجد غناه و لا يجد فيه غوثاً و معلقاً عن لصوص العالم المنظمين ، و ذئاب الإنسانية التي تحكمت و عانت فيها .

ضعف العالم العربي :

ثم هذا العالم العربي .. إنه اليوم مع كل أسف أضعف أعضاء جسم العالم الإسلامي ، وقد كان واجباً أن يكون أقواماً وأصحاباً و أن يكون في العالم الإسلامي بمنزلة الرأس أو القلب من البدن ، وقد تضافرت عليه عوامل الأفساد والضعف فأحدثت فيه عللاً كثيرة ، وقد ولد فيه ضعف الحكم التركي و غفلته عن تعليم الشعوب و تربيتها ، و إلقاء الأموال في غير موضع ، وعسف في غير هوادة ،

أورث كل هذا البطالة و سقوط الهمة و الجهل المطبق في
كثير من البلاد العربية ، و جاء الاستعمار الأوروبي فأورث
الفسخ في الأخلاق والانحلال في الدين و الاندفاع المتهور
إلى المادية و التهلك على الشهوات ، و قامت الحكومات
الشخصية فأورثت التلق و كثرة المحاملات و النفاق والخنوع
للقوة و المادة ، ثم جنى عليه قرينه من أوروبا ، فكان هدفاً
لتياراتها المدنية ومنتجاتها الصناعية وأفكارها المتطرفة ، وأساء
إليه موقعه الجغرافي و أهميته السياسية والاستراتيجية ، فلجأ
به الغرب وطبع فيه الاستعمار ، وطوقه الجنود الأجنبية ،
وكان مسرحاً لبقاء الحضارة الشرقية و النظام الاقطاعي
و الحكم الشخصي المترف و البذخ و التفاوت الشديد بين
الطبقات في المعيشة .

ثم كان أن خفت في العالم العربي صوت الدعوة الدينية
من زمان ، و انقرض الرجال الذين كانوا يكثرون المادية
ويكتبون جماحها ويلطفون من حدتها ، بدعتهم إلى الله

و إلى الآخرة و إلى الزهد و الاعتدال في الحياة و قمع الشهوات ، و يشعرون بجرة الإيمان ، و استسلم العلماء و رجال الدين لتيار الغرب و تغيرات العصر ، فوضعوا أوزارهم للدنيا الغربية ، وهجم عليهم الأدب الشهوانى و الصحافة الماجنة ، فللت العقد و نفخت في الشهوات ، و اجتمع بعض ذلك إلى بعض ، حتى أصبح هذا العالم منحلاً منهارةً متداعياً ، لا يمسكه الإيمان ، و لا تحفظه القوة المعنوية ، و لا تقف في طريق اندفاعه دعوة قوية .

لا بد من تجديد واسع عميق يقلب تيار الحياة :

في مثل هذه الفترات المظلمة و السحب المتراكمة كان الله يبعث الأنبياء و المرسلين في الزمن السابق ، و لكن لا نبوة بعد نبوة محمد ﷺ ، فلم تكشف شمسها و لم يتوار نورها ، و دينه لا يزال حياً ، و الكتاب الذي جاء به لا يزال محفوظاً ، وأمته التي أرسلت معه لتبلغ رسالته والقيام بدعوته لا تزال على وجه الأرض و لا تزال فيها

الحياة و الروح .

لقد ألغى الله بفضل دينه المحفوظ وكتابه المتلوا ونبيه
محمد ﷺ الخالدة عن رسالة جديدة ورسول جديد .

ولكن لابد من تجديد واسع ، ودعوة صارخة
وكفاح شديد يغير هذا الوضع الجاهلي الذى تورط فيه
العالم الاسلامي تورطاً قبيحاً وامعن فيه العالم العربي إلى
أبعد حد ، وقد وعد الله و أخبر رسوله باستمرار هذه
الدعوة الاسلامية وبقاء التجديد و دوام الكفاح في تاريخ
الاسلام ضد الجاهلية التي ترفع عقيرتها زماناً بعد زمن
و حيناً بعد حين ، وقد أصبح خطب العالم الاسلامي
و فساد أحوال المسلمين و انحرافهم عن جادة الاسلام
و طغيان بجز المادية أعظم و أوسع من أن يتدارك بهجود
فردية ، و خطب منبرية ، و دروس دينية ، و مباحث فقهية ،
و مسائل بجزئية ، و محاربة الأفراد والأشخاص ، إن السيل
لا يمسكه إلا السيل مثله ، والتيار لا يدفعه إلا تيار أقوى

منه ، فلا بد من كفاح عنيف و صراع شديد يغير مجرى الزمن ويقلب تيار الحياة من جهة إلى جهة ، ويحدث انقلاباً في المجتمع و الحياة و في الأذواق و الرغبات و في قيم الأشياء و موازينها .

تغيير عميق في القلب و النفسية :

و ليس خطب الدعوة الدينية و التجديد الاسلامي بهين ، فليس رسالتها و مهمتها قلب نظام أو تغيير وضع سياسي بوضع سياسي آخر ، و نظام اقتصادي بنظام اقتصادي آخر ، ولا نشر الثقافة و العلم ، و مكافحة الامية والجهل أو محاربة البطالة و التعطل ، أو معالجة عيوب اجتماعية أو خلقية أو غير ذلك مما يقوم له الدعاة و المصلحون في أوربا و في الشرق ، إنما هي دعوة الاسلام التي تشمل العقيدة و الأخلاق و الأعمال و العبادة و السلوك الفردي و الاجتماعي ، و تتناول العقل و القلب و الروح و الجسم ، و تعتمد على تغيير عميق في القلب و النفسية و العقيدة

والعقلية ، و تبع من القلب قبل أن تبع من قلم أو صحيفه ،
أو كتاب أو منصة خطاب ، و تنفذ على جسم الداعي
و حياته قبل أن تطالب بتنفيذها على المجتمع و الأمة .

دعوة جديرة بالأنبياء :

هذه الدعوة كانت جديرة في الحقيقة بالأنبياء
و مواهبهم و قوامهم و رسالتهم و إيمانهم و جهادهم و ثباتهم
و فقههم و حكمتهم و إخلاصهم ، و لكنها ليست خاصة
بالأنبياء بل هي دعوة خلفائهم و أتباعهم كذلك ، و دعوة
كل عصر و مصر ، و حاجة الإنسانية كلها و العصور كلها ..
فلا بد أن تجده في كل زمان و في كل محيط ، و تكون على
أساس دعوتهم مطابقة لسيرتهم .. مقتبسة من مشكّلتهم ،
فلنرجع إلى هذا المصدر ، و لندرس دراسة عميقه .

جوانب هامة تمتاز بها هذه الدعوة :

و إذا تبعنا سيرة الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم
رأينا جوانب كثيرة تمتاز بها سيرتهم ، و تقوم عليها دعوتهم ،

عن تلك التي تميز بها القادة والمصلحون من عامة البشر .

الاتجاه إلى الله :

١- الاتجاه إلى الله في جميع مراحل الدعوة والجهاد ،
بل في جميع مراحل الحياة .. والاطراح على عتبة عبوديته
اطراح الفقير الكسير ، و الإرتماء في أحضان رحمته إرتماء
الطفل الصغير في أحضان أمه ، و الإيمان القوى بأنه هو
النافع الضار ، و الناصر الخاذل ، و أن لا مانع لما اعطى
و لا معنى لما منع ، ولا كاشف لضره ، ولا يمسك لرحمته ،
و لا سهل إلا ما جعله سهلا و هو يجعل الحزن سهلا ،
و ينصر الضعيف على القوى والقليل على الكثير . والضعف
مع نصره قوى ، و القليل مع رحمته كثير .

هذا الإيمان كان يوحى إليهم بالابتهاج في الدعاء
و إطالة الوقوف ببابه و شدة الالتزام بأعتابه ، والاحترام
في المسألة ، و يلهمهم المعانى العجيبة و التعبيرات الرقيقة ،
ولننظر إلى قول سيد الآتية و سيد الدعاء إلى الله إلى يوم

القيامة وهو يمثل خير تمثيل لا يمانه و شعوره بفقره وضعفه
و افقاره إلى رحمة الله :

« اللهم إِنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامِي وَ تَرَى مَكَانِي ، وَ تَعْلَمُ
سَرِّي وَ عَلَانِيَّتِي ، لَا يَخْفِي عَلَيْكَ شَيْءٌ مِّنْ أَمْرِي ، وَ أَنَا
البَائِسُ الْفَقِيرُ ، الْمُسْتَغْيِثُ الْمُسْتَجِيرُ ، الْوَجْلُ الْمُشْفَقُ ، الْمُقْرَبُ بِذَنْبِهِ ،
أَسْأَلُكَ مَسَأَلَةَ الْمُسْكِينِ ، وَ أَبْتَهِلُ إِلَيْكَ ابْتِهَالَ الذَّلِيلِ
وَ أَدْعُوكَ دُعَاءَ الْخَائِفِ الْضَّرِيرِ ، وَ دُعَاءَ مَنْ خَضَعَ لَكَ
رَقْبَتِهِ ، وَفَاضَتْ لَكَ عِبْرَتِهِ ، وَ ذَلَّ لَكَ جَسْمَهُ ، وَرَغَمَ لَكَ
أَنْفُهُ ، أَللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي بِدُعَائِكَ شَقِيقاً ، وَ كُنْ بِرَوْفَأَ رَحِيمًا
يَا خَيْرَ الْمَسْؤُلِينَ وَ يَا خَيْرَ الْمَعْطَيِنَ . . .

وَ لِنَذْكُرْ دُعَاءَ ^{عَلِيِّهِ} فِي الطَّائفِ وَ قَوْلَهُ :

« اللهم إِلَيْكَ أَشْكُو ضُعْفَ قُوَّتِي وَ قَلَةَ حَيَاتِي وَ هُوَافِي
عَلَى النَّاسِ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، إِلَى مَنْ تَكَلَّنِي ، إِلَى عَدُوِّي
يَتَجَهَّمُنِي ، أَمَّ إِلَى قَرِيبِ مَلْكَتِهِ أَمْرِي ، إِنْ لَمْ تَكُنْ
سَاخْطَاً عَلَى فَلَا أَبَالِي ، غَيْرَ أَنْ عَافَيْتَكَ أَوْسَعَ لِي ، أَعُوذُ

بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات و صلح عليه أمر
 الدنيا والآخرة من أن يحل فى غضبك أو ينزل على سخطك ،
 لك العتى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك ،
 و نذكر موقفه في بدر ، قال ابن إسحاق : « ثم عدل رسول
 الله ﷺ الصفوف ، و رجع إلى العريش فدخل ومعه فيه
 أبو بكر ليس معه غيره ، و رسول الله ﷺ يناسد ربه
 ما وعده من النصر و يقول فيها يقوله « اللهم إن تهلك هذه
 العصابة اليوم لا تبعد » .

هذه كانت عـدة الآنيـاء عليهم السلام ، و قوـتهم
 و مفتاح دعوـتهم ، فـقد امتـازت دعـوتـهم ، بتـقديـم الدـعـاء
 و الـاهتمام به من الـابـهـال فـيـهـ ، و لـيس الدـعـاء إـلا رـمزـاً
 للـانـابة إـلـى الله و الـاعـتمـاد عـلـيهـ و الـاعـتـزـاز بـهـ ، فـامـتـازـت
 دـعـوتـهم و جـهـادـهم فـي سـيـلـها بـطـابـعـهـما الرـوحـي و الـإـيمـانـي ،
 و قد روـى أنه كان ﷺ إذا حـزـبـهـ أمرـ فـزعـ إـلـى الصـلـاةـ ، و قال تعـالـى : « و استـعـينـوا بـالـصـبـر و الصـلـاةـ ، و لا شـكـ

أن جهاد الدعوة أعظم من أن يضطلع به الإنسان بقوته الجسدية و عدته المادية وكفايته العقلية و العلية ، ولا يستقل به إلا بالقوة الروحية و نصر الله و معونته ، وإن هذه الصخور العظيمة بل الأطواد الشاحنة التي تقف في سيل الدعوة و تهجم على رؤوس الدعاة و تصطدم بجهودهم لا تذوب إلا بنصر الله الذي يستنزل بالدعاء ، و الاتجاه إلى الله .

التجدد من المنافع المادية والتراث العاجلة :

٢ - امتازت دعوة الأنبياء و جهودهم بتجددها من التفكير في المنافع المادية و التراث العاجلة فكانوا لا يتغدون بدعوتهم و جهادهم إلا وجه الله ، وامتثال أوامره وتأدية رسالته ، تجردت عقولهم و أفكارهم من العمل للدنيا و نيل الجاه و كسب القوة لأسرتهم أو أتباعهم و الحصول على الحكومة حتى لم يخطر ذلك ببال أصحابهم وأتباعهم ، وكانت هذه الحكومة التي قامت لهم في وقتها و القوة التي حصلت

لهم في دورها لم تكن إلا جائزة من الله و وسيلة للوصول إلى أهداف الدين و تنفيذ أحكامه و تغيير المجتمع و توجيه الحياة كما قال الله تعالى : « الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة و آتوا الزكوة و أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر » و لم تكن هذه الحكومة قط غاية من أهدافهم أو حديثاً من أحاديثهم أو حلمًا من أحلامهم ، إنما كانت نتيجة طبيعية للدعوة و الجهاد ، كالمثرة التي هي نتيجة طبيعية لنمو الشجرة و قوتها إثمارها .

و قد قال كاتب هذه السطور في رسالته « بين الهدایة و الجبایة » ما يحسن نقله هنا :

« بعث محمد ﷺ فدعى الناس إلى الإسلام فالتف حوله « فتية آمنوا بربهم و زدناهم هدى ، وربصنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات و الأرض لن ندع من دونه إلهًا لقد قلنا إذا شططاً ، هؤلاء قومنا اخنعوا من دونه آلهة ، لو لا يأتون عليهم بسلطان بين ، فن أظلم من

اقترى على الله كذباً ، .. و كان هؤلاء الفتيان هدف كل قسوة و ظلم و اضطهاد و بلاء و عذاب ، و قد قيل لهم من قبل « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا و هم لا يفتون ، و لقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا و ليعلمن الكاذبين » ، فصمدوا لكل ما وقع لهم وثبتوا كالجبل ، و قالوا : « هذا ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله » .

حتى أذن الله في الهجرة ولم تزل الدعوة تشق طريقها و تؤرق أكلها حتى قضى الله أن يحكم رجالها في العالم ... و يقيموا القسط و يخرجوا الناس من الظلمات إلى النور و من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، فقد عرف أنهم إذا تولوا و سادوا « أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة و أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر » .

و هكذا جاءت الدعوة بالحكومة ، كما تأوى الأمطار

بالخشب والزرع ، وكما تأثر الأشجار بالفاكهه و الثمر ،
فلم تكن هذه الحكومة إلا ثمرة من ثمرات هذه الدعوه
الاسلاميه ، ولم تكن هذه العزه و القوه إلا نتيجة ذلك
العذاب الذي تحملوه من قريش وغيرهم ، و ذلك الهوان
الذى لقوه في مكه و غيرها .

وفرق كبير بين الغاية التي تقصد و النتيجه التي تظهر ،
ويظهر هذا الفرق في نفسية العامل و الساعي ، و الذى
يقصد الحكومة يتواهى و يهدى إذا لم ينلها أو انقطع أمله
فيها ، و يشغل بها عن الدعوه و يطغى إذا نالها ، و خطر
على كل جماعة تكون عقليتها بحب الحكومة و السعي لها أن
تقعد عن الجهد في سيل الدعوه أو تحرف و تزيغ في
قصدها ، لأن أساليب الوصول إلى الحكومة تخالف
أساليب الدعوه .

فيجب علينا أن ننق عقولنا ونفوسنا ونجربها للدعوه
و للدعوه فحسب ، و الخدمه و التضحية والايثار و إخراج

الناس باذن الله من الظلام إلى النور و من الجاهلية إلى
الاسلام و من ضيق الدنيا إلى سعتها و من جور الأديان
المخرفة والنظم الجائرة و المذاهب الغاشمة إلى عدل الاسلام
و ظله ، و لا يكون دافعنا إلى العمل و الجهاد إلا امثال
أمر الله والفوز في الآخرة ، وما أعد الله لعباده من الأجر
و الثواب ، ثم الشفقة على الخلق والرحمة بالانسانية المغذبة
و الحرص على نعمة الانسان ، فاذا كان ذلك لا يمكن في
مرحلة من مراحل الدعوة أو في فترة من فترات التاريخ
- بعد تغلغل مبادئ الدعوة في نفوس الدعاة و رسوخ
العقيدة فيهم - إلا بالحكومة سعينا لها لمصلحة الدعوة
و الدين كما نسعى إلى الماء للوضوء ونجتهد لهذا السبب بنفس
العقلية و بنفس السيرة و بنفس العفة و التزاهة و الصدق
و الأمانة و الحشوع و التجدد الذى نجتهد معه لواجبات
الدين و أركانه و العبادات الأخرى ، فلا فرق للؤمن بين
الحكومة وبين العبادات إذا حصل الاخلاص و صحت النية ،

فكل في رضا الله ، وكل في سهل الله ، وكل عبادة يتقرب
بها العبد إلى الله .

المثابرة على الدعوة و الصبر عليها :

٣ - وما امتازت به حياة الأنبياء و سيرتهم النبوية
المثابرة على الدعوة و الصبر عليها ، فلا يخطوون هذه
المرحلة التي هي الأساس بسرعة و عجلة ، ولا يطوفون
منها طفراً إلى مرحلة أخرى بل يقضون فيها سنين طوالاً
و لا يشغلوه بغيرها ولا يطمئنون إلى أن المجتمع قد عقل
دعوتهم واستساغها ، ولا إلى الدعاة أنهم قد بلغوا رسالتهم
و أدوا مهمتهم ، ولا إلى النفوس أنها قبلت هذه الدعوة
و هضمتها هضماً صحيحاً و أحلمها منها محلاً لامقاً و أنسنت
النفوس باتباع الأحكام وانقاد لها جماحها و لانت لها قاتلها ،
لا يطمئنون إلى كل هذا حتى يتحققوا و يختبروه مرة بعد
مرة ، فلا يخدعون أنفسهم و لا تغفهم بهرجة الكلام ف تكون
نتيجة هذه التربية المديدة و الدعوة الطويلة أنها تؤني أكلها

ناضجة شهية ولا تخديج الدعوة تتجاهها فإذا قامت الحكومة
قامت على أساس متين من الأخلاق و على أكتاف رجال
أقويه ، أقويه في عقيدتهم ، أقويه في سيرتهم ، أقويه في
خلقهم ، أقويه في عبادتهم ، أقويه في سياستهم ، لا يندفعون
مع التيار ، ولا تحرف بهم المدينة و لا يلعب بعقولهم
الغنى بعد الفقر ، و اليسر بعد العسر ، و القوة بعد الضعف ،
و لا تميل بهم المحسوبيات و الأرحام و الصداقات ، و لا
تستهويهم المطامع و المنافع .

هذا كان شأن الخلافة الرشدة و هذه كانت سيرة
الخلفاء الراشدين ، وهنا أنقل مرة ثانية ماقلته في رسالتي
« بين الجبائية والهدائية » :

« تأسست دولة الاسلام و فتحت فارس و بلاد
الروم و الشام و نقلت إلى عاصمة الاسلام - المدينة المنورة -
كنوز كسرى و قيصر و انصبت عليها خيرات الملوكتين
العظيمتين و انهال على رجالها من أموال هاتين الدولتين

وطرفها و زخارفها ، ما لم يدر قط بخلدهم ، و قد انقضى على إسلامهم ربع قرن و هم في شدة وجهد من العيش وفي جشوبة المطعم و خشونة الملبس ، لا يجدون من الطعام إلا ما يقيم صلبهم ولا من اللباس إلا ما يقيهم من البرد والحر ، فإذا بهم اليوم يتحكمون في أموال الأباطرة و الأكاسرة ، و لو أراد الواحد منهم أن يلبس تاج كسرى و ينام على بساط قيسار لفعل ، لقد كانت هذه والله مخة عظيمة تنول فيها الجبال الراسيات و تطير لها القلوب من جوانحها و تعنى العيون ، إنهم ما وقفوا بين الفقر و الغنى فحسب بل إنهم خيروا بين أن يتذلّوا عن دعوتهم و أمانتهم و مبادئهم وينفضوا منها يدّهم فلا يطمعوا فيها أبداً و بين أن يحافظوا على روح هذه الدعوة النبوية و على سيرة رجاحها اللاقنة بخلاف الآنساء و المرسلين وحملة الدعوة و المؤمنين الخلقين .

كان لهم أن يؤسسوا ملكاً عريباً عظيماً على أنقاض
الدولة الرومية و الفارسية وينعموا كما نعم ملوكها وأمراؤها

هن قبل ، فقد ورثوا الامبراطوريتين الفارسية والرومية وجعلوا بين موارد دولتين ، فإذا كان كسرى يترفه بموارد فارس فقط ، وإذا كان هرقل يدخل بموارد الروم فقط ، فهذا عمر بن الخطاب يمكنه أن يتعرف بموارد الامبراطوريتين و يدخل بذخاً لم يدخله أحدهما .

كان له و لاصحابه كل ذلك بكل سهولة ، ولكنهم سمعوا القرآن يقول : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً و العاقبة للتقين » و كأنهم يسمعون نبيهم عليه السلام يقول قبل وفاته : « لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخاف أن تسط عليكم الدنيا كما سحطت على من كان قبلكم و تهلككم كأهلكم » فهتفوا عن آخرهم قائلين : « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة » .

و هكذا حافظوا على روح الدعوة الإسلامية وسيرة الأنبياء و المرسلين وعاشوا في الحكومة كرجال الدعوة ، وفي الدنيا كرجال الآخرة ، وملكون أنفسهم في هذا التيار

الجارف الذى مال قبلهم بالمد نيات و الحكومات
و الشعوب والأمم و مال بالمبادئ و الأخلاق و العلوم
و الحكم .

ما زال الناس يعدون اقتحام المسلمين دجلة بخيتهم
و جندهم و تحت قيادة سعد بن أبي وقاص و وصو لهم إلى
الشط الثاني - من غير أن يصابوا في نفس أموال أو متع -
حادثاً غريباً من أغرب ما وقع في التاريخ ، إن الحادث لغريب
ولكن أشد منه غرابة و أدعى للعجب أن المسلمين في عهد
الخلافة الراشدة و الفتوح الإسلامية الأولى ، خاضوا في بحر
مدينة الروم و فارس وهو هائج مائج ، و عبروه ولم يفقدوا
 شيئاً من أخلاقهم و مبادئهم و عاداتهم ، و وصلوا إلى
الشط الثاني و لم تقتل ثيابهم ، و لم يزل الخلفاء الراشدون
و أمراء الدولة الإسلامية من أصحاب النبي ﷺ محتفظين
بروحهم و نفسيتهم و زهدهم و بساطتهم في المعيشة و تحشيمهم
في أوج الفتوح الإسلامية .

التفرغ للدعوة :

٤ - ومن مزايا الانبياء و الدعاء إلى الله التجرد للدعوة والتفرغ لها بالقلب و القالب والنفس والنفيس والوقت و القوة ، فمن شأنهم أنهم يركذون جهودهم و مواهيمهم و يوفرون أوقاتهم و قواهم لهذه الدعوة و نشرها والجهاد في سيلها و يعطونها كلهم و لا يضنون عليها بشئ مما عندهم و لا يحتفظون بشئ و لا يؤثرون عليهم شيئاً ، لا وطناً ولا أهلاً ولا عشيرة ولا هوى ، ولا مالاً ، ثم تمر جهودهم في الدنيا وقد تشعر بعد حياتهم ، فهذا هو النبي ﷺ يخاطب بقوله تعالى : « و إما نرينك بعض الذى نعدهم أو توفينك فـإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون » وإذا كان هذا شأن الدعوة بعد ما أعطاها الانبياء كل ما عندهم فكيف بها إذا أعطيناها بعض ما عندنا ، وكانت الدعوة تملك عليهم عقوتهم و مشاعرهم و تملك عليهم تفكيرهم و صحبتهم فـزال القرآن يسلي النبي ﷺ ويقول له : « فلعلك باخع نفسك

على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفًا ،

دعة تسرى في الروح و تتجلى في الأخلاق والسلوك :

٥ - ومن مزايا الآنياء عليهم السلام و من كان على طريقهم في الدعوة إلى الله ، أن هذه الدعوة إلى الله وإلى الدار الآخرة تسرى في حياتهم كما يرى الماء في عروق الشجر و الكربلاء في الأسلام و تظهر في أخلاقهم و عبادتهم فترق قلوبهم و تخشع نفوسهم و تزداد رغبتهم في العبادة و يشتد اهتمامهم بها و حرصهم عليها و إيفاؤهم لحقوقها ، فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه فقيل له قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر قال : « أفلأ أكون عبداً شكوراً » ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت قام النبي ﷺ بآية من القرآن ليلة ، و الآية هي : « إِن تَعْذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَابِدُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

وانتقلت هذه اللذة بالعبادة و الاهتمام بها إلى الصحابة

رضي الله عنهم في أشد الأوقات شغلاً وألقها خاطراً، حتى
كان أعداؤهم يعرفون ذلك عنهم وقد وصفهم رجل من
الروم بقوله: « هم فرسان بالنهار رهبان بالليل »، ويقول
قاتل: « لو حدثت جليسك حديثاً ما فهمه عنك لما علا من
أصواتهم بالقرآن والذكر ».

إِشَارَةُ جَانِبِ الْعَزِيمَةِ عَلَى جَانِبِ الرَّخِيمَةِ :

٦ - و من مزايا الأنبياء عليهم السلام و من كان على
قدمهم أنهم يأخذون بالعزيمة في الدين و لا يأخذون
بالرخصة - إِلَّا يَأْتِنَا لِلْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ و شَكْرًا لِنَعْمَةِ اللَّهِ و رَفْعًا
لِلْحَرْجِ عَنِ الْأَمَّةِ و لَا يَعْفُونَ أَنفُسَهُمْ و لَا يَتَسَاهَلُونَ فِي
الْعِبَادَاتِ لَأَنَّ اتَّبَاعَ النَّاسِ لِلَّدِينِ وَعْلَمُهُمْ بِهِ بِمَقْدَارِ تَصْلِيبِ
هُؤُلَاءِ السَّادَةِ فِي الدِّينِ وَتَمْسِكُهُمْ بِهِ ، فَإِذَا اهْتَمْتُمْ هُؤُلَاءِ بِالنَّوْافِلِ
اهْتَمُ النَّاسُ بِالْفَرَائِضِ وَإِذَا اكْتَفَى الْقَادِهُ بِالْفَرَائِضِ اسْتَرَسَلَ
النَّاسُ إِلَى تَرْكِهَا وَالْأَسْتِهَانَةِ بِحَقِّهَا ، لِذَلِكَ كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ
اللهُ عَنْهُمْ وَقَادَهُمْ هَذِهِ الْأَمَّةُ يَشْمُرُونَ عَنْ سَاقِ الْجَدِّ فِي

العبادات والمحافظة على الجماعات والعمل بالسنن الدقيقة والاهتمام
بالآداب و لا يكتفون بالأدنى و لا يقفون عند الفريضة ،
و بذلك استطاعوا أن يورثوا الدين موفوراً غير منقوص ،
و هو أمانة عند هذا الجيل فلينظر كيف يورثه الأجيال
الآتية .

تربيـة النفوس و الأشخاص :

٧- و ما يمتاز به الآباء و المرسلون عن الحكماء
و المؤلفين و العلماء المحققين ، أنهم يعنون ب التربية النفوس
و الأشخاص الذين يضططعون بأعباء الدعوة بعدهم و ينفذون
تعاليمهم و رسالتهم عملاً و عملاً ، و معلوم أن دعوتهم
العظيم لا تقوم إلا على أكتاف الإصلاح و الأقوية الحنفاء
المخلصين في إيمانهم و المخلصين في تفكيرهم و المخلصين في نياتهم ،
الذين قد تفتت رؤوسهم و صدورهم من أواث الجاهلية
و الذين هضموا الاسلام هضماً صحيحاً و انقطعت كل صلة
في حياتهم عن الجاهلية بأوسع معانيها و خلقوها في الاسلام

خلاقاً جديداً

و نرى ذلك واضحاً في حياة سيدنا موسى عليه وعلى
بنيه أفضل الصلاة والسلام ، فلما كان بنو إسرائيل قد نشأوا
في حياة العبودية و الذل و الاضطهاد و السخرة الظالمة
و ماتت رجولتهم وإياوهم و مردوا على الخنوع والاستكانة
والخضوع للقوى الغالب و على الجبن و المحرض الشديد على
الحياة و الخوف الشديد من الموت و أسبابه حتى قال لهم
نبيلهم : « يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم
و لا ترتدوا على أدباركم فتقليروا خاسرين » ، قالوا يا موسى
إن فيها قوماً جارين وإننا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فاءً
يخرجوا منها فانا داخلون » ، ولم يشجعهم على التقدم والقتال
قول موسى عليه السلام : « كتب الله لكم ، مع أنه كان ضعافاً
لاتتصارهم ، و أخيراً قالوا بكل صراحة و وقاره : « يا موسى
إننا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إننا
مُهْنَا قاعدون ، فظهر أن نشأتهم الأولى تأتي عليهم أن يخوضوا